التخطيط والتوكُّل في ضوء التأصيل الإداري

يوسف عثمان محمد سليمان(★)

مدخل :

حكى لي صديق قديم قصة يعتقد أنها صحيحة، وأنها دليل على التوكُّل؛ قال : كان حطاب في طريقه إلى الجبل كعادته كل يوم يحتطب ويبيع حطبه ليوفي التزاماته ؛ وبينما هو يسير بحذاء الجبل إذ بطائر ضخم يطل برأسه من جحر صغير في الجبل, ماداً رأسه وبقية جسمه محبوسة في الداخل. دار الحطاب حول المكان ليرى المنفذ الذي يدخل منه هذا المخلوق الضخم ويخرج , فلم ير منفذاً. ودار في هذه اللحظة بذهنه هم الرزق ؛ إنه على يقين أن الله يرزق كل حي. ولكن كيف يرزق هذا الطائر ولاسبيل له للبحث الذي يثمر الرزق ؟ وقف الرجل يراقب الطائر ليعرف مصدر رزقه ؛ ولم يلبث طويلاً حتي جاء سرب من الجراد كابساً على فوهة الحجرفالتهم الطائر كفايته من هذا الجراد . الآن عرفت كيف يأْكل هذا الطائر ؛ بقي أن أعرف كيف يشرب ؛ استمر الرجل واقفاً ليري مصدر الماءالذي يشرب منه هذا الطائر ؛ ولم يطل به الوقوف هذه المرة أيضاً ؛ فقد تجمعت سحابة انهمر منهاالمطر وسال أمام الطائر ؛ فشرب حتي روي , إن الله القادر على أن يرزق هذا الطائر في محبسه هذا قادر على أن يرزقني مثله فلن أشقى بعد اليوم في طلب الرزق ؛ هكذا قرر الحطاب وانقلب راجعا إلى بيته . اندهشت زوجته حين جاءها فارغ اليدين، فسألته عن السبب فأخبرها بما رأى وما قرّر ؛ ظنته قد أصيب في عقله فدعت إخوانه وجيرانه ليثنوه عن

(★) أستاذ مساعد، رئيس قسم العلوم الإدارية ـ كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية بالجامعة.

قراره ؛ ولكنه أصر . وبينما هم في جدالهم حضرت الصلاة , فانفض الاجتماع ليعود إلى الانعقاد بعد الصلاة . توجه الحطاب نحو النهر ليتوضأ للصلاة , بينما هو يتوضأ إذا بصندوق يرسو بجواره ملئ بالذهب ؛ ها قد أتى الرزق من غير تعب، ولكن عليَّ أن أحمله إلى الدار ؛ إن الطائر لم يحمل شيئاً بل أتاه رزقه في مكانه ؛ لا ليس هذا لي ؛ وانصرف الحطاب تاركاً الصندوق وراءه . عاد بعد الصلاة ليجد الاجتماع في انتظاره؛ فأخبرهم بما وجد فرموه مجدداً بالجنون, وساروا إلى النهر ليروا بأعينهم فإذا بالصندوق مستقر بالشاطيء تداعبه الأمواج ؛ ولكنهم حينما فتحوه وجدوه مليئاً بالعقارب ؛ مما أغضبهم وجعلهم يرمونه بالتهم، ثم قرَّ رأيهم على صب هذه العقارب عليه فحملوا الصندوق إلى الدار ووجدوا الحطاب مستلقياً فأفرغوا العقارب عليه؛ ولكنها تحولت في حجره ذهباً كما كانت . الآن أصبح الذهب ملكي أنفق منه كما أشاء.

كثير أولئك الذين يظنون أنَّ الرزق مسطور في غيب الله وأنَّ السعي والطلب لا يغير ما كتب الله , ظانين أنَّ المتوكل غني عن السعي والتدبير؛ وربما اعتقد البعض أنَّ السعي والتدبير مناقض للتوكُّل، وقد يعتقد بعض آخر أنَّ التدبير هو الحاكم، وأنَّ الأسباب تؤدي حتماً إلى النتائج .

مشكلة البحث:

يقف بعض الناس من التوكُّل والتخطيط على طرفي نقيض ؛ حيث يبالغ فريق في الاعتماد على الأسباب، ويجعلها صانعة النتائج، في حين يبالغ فريق آخرفي الغض من أهمية الأسباب ويرى المتوكل غنياً عن التخطيط وعن الأخذ بالأسباب .

أسئلة البحث :

[١] هل الأسباب كافية أم أنَّها ضرورية، وليست كافية؟

[٢] هل يحتاج التوكُّلأ لأسباب تكمله؟

[٣] هل الأسباب والتوكُّل من الأمور المطلوبة شرعاً؟

[٤] هل الأسباب إعمال للسنن والتوكُّل تفويض في النتائج؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى لفت الأنظار إلى أنَّ الإسلام وسط في كل شيء؛ ومن وسطيته أنّه منع الغلو والتطرف في كل أمر ؛ ومن مظاهر الغلو التي منعها :

[١] ركون الإنسان كلية إلى الأسباب واعتقاد أنها تصنع النتائج .

[٢] إهمال الأسباب كلية والركون إلى أن من يتوكل على الله غني عنها .

[٣] كما تهدف إلى إبراز أنَّ التخطيط واتخاذ الأسباب من عبادة الله التي خلق الله الخلائق من أجلها.

أهمية البحث :

تستمد هذه الدراسة أهميتها من أنها محاولة لتنبيه المسلمين إلى مكمن عزهم وسبب تمكينهم الذي غفلوا عنه طويلاً فسلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم استولى على أرضهم وسلبهم سلطانهم وثرواتهم . فقد خلق الله الخلق لعبادته وأمرهم بتعمير الأرض وبذل الجهد في إعمال السنن واكتشاف الأسباب واستثمارها في تعمير الأرض , فكانوا سادة حين علموا ذلك وعملوا به فلما أهملوا الأسباب وأخلدوا إلى الأرض صاروا إلى حالهم الآن . ولئن

دبت فيهم إرادة التغير فإنَّ السبيل إليها هو العلم بالسنن واستثمارها عبادة الله وطاعة له.

منهج البحث وأدواته :

سيعتمد هذا البحث بصفة رئيسة على المنهج الاستنباطي وقد يستخدم غيره عند الحاجة.

وسيعتمد أيضاً على المعلومات الثانوية اعتماداً رئيساً مع احتمال استثمار معلومات أولية عند الحاجة ؛ ولذلك فإن الأداة الرئيسة لجمع المعلومات تكون القراءة .

هيكل البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة تحدد إشكالية الدراسة وفرضياتها وأهدافها وأهميتها والمنهج الذي يتبعه والأدوات التي يحتاجها لجمع وتحليل المعلومات. يلي ذلك حديث عن الأسس والمفاهيم النظرية للتخطيط ؛ ثم الأسس والمفاهيم النظرية للتوكُّل ؛ ثم حديث عن ضرورة الأخذ بالأسباب دون الركون إليها وأنها من مسالك التوكُّل , ثم ننظر إن كان قد استغنى عن الأسباب واحد من الناجحين ليكون ذريعة لأن المتوكل غني عن التخطيط ؛ وبعد ذلك ننظر إلى التوكُّل الذي مدحه رب العزة لنرى إن كان ثمت وجه للتناقض بين التوكُّل المحمود والتخطيط ليتخذ ذريعة لذم التخطيط ونختم برسم العلاقة بين التوكُّل المحمود وضرورة الأخذ بالأسباب .

المفاهيم النظرية للتخطيط

معنى التخطيط :

[١] التخطيط لغة :

الجذر اللُّغوى لهذه الكلمة هو (خ ط ط) . يقول ابن منظور : الخط: الطريقة المستطيلة فى الأرض ... وخط بالقلم : كتب؛ والتخطيط : التسطير؛ والخِطَّة ـ بكسر الخاء ـ: الأرض والدار يخطها الرجل ... يحتجزها ويبنى فيها؛ والخُطَّة ـ بالضم ـ: شبه القصة والأمر ... وفى حديث الحديبية :" لا يسألونى خُطَّة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها " وفى حديثها أيضاً : " إنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها " أى امراً واضحاً فى الهدى والاستقامة... وفى رأسه خطة : أى أمر ما ... وقولهم : خطة نائية أى مقصد بعيد[(١)].

وقال فى مختار الصحاح : " خ ط ط " : الخط واحد الخطوط وخط بالقلم كتب , مخطط : فيه خطوط . والخطة بالكسر : الأرض التي يخطها الرجل لنفسه وهو أن يعلِّم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها داراً ... والخطة بالضم الأمر والقصة"[(٢)].

فمن معاني التخطيط إذن:

(١) ابن منظور: لسان العرب , دار صادر ودار بيروت , بيروت لبنان , ١٩٦٨م، المجلد السابع, ص ٢٨٧، ١٨٠، ١٨١.

(٢) محمد بن عبد القادر الرازي , مختار الصحاح , دار الكتاب العربي , بيروت، لبنان , بدون تاريخ للنشر, ص ١٨٠ – ١٨١.

[١] رسم خطوط .

[٢] رسم علامة على الأرض تدل على حيازتها .

[٣] الكتابة.

[٤] القصة أو الأمر .

[٥] المقصد .

فكأن الذى يخطط يرسم خطوطاً فى الزمن , ويسمه بعلامات ويكتب ذلك كله ليحقق مقصداً وليقضى أمراً.

التخطيط اصطلاحاً :

يقول د . عمر وصفي عقيلي : "التخطيط هو إحدي وظائف الإدارة أو المدير , وأحد مكونات العملية الإدارية , وعمل يسبق كل تنفيذ , وبموجبه يتم تحديد الأهداف المطلوب تحقيقها والفترة الزمنية اللازمة لذلك ، ثم وضع الخطة الكفيلة لتحقيق هذه الغاية وبعد القيام بعملية تنبؤ للتعرُّف على الظروف والمتغيرات المستقبلية التي قد تحدث في الفترة المقبلة والتي من المحتمل أن تؤثر في سير تنفيذ الخطة للعمل على مواجهتها"[(١)].

(١) عمر وصفي عقيلي , إدارة الاعمال , الوجيز في مبادي وإصول الإدارة , مؤسسة زهران , عمان , ١٩٩٣م، ص ٧٣.

ويقول د. محمد سعيد عبد الفتاح : "التخطيط هو التطلع للمستقبل والخطة هي الطريق الذي نسلكه لكي نحصل على ما نرغب فيه حسب أهدافنا العامة وتقدير بعض الصعوبات التي قد تعترض سبيلنا"[1].

ويقول د . سمير أحمد عسكر : " لكي تؤدي مجموعة متعاونة من الأفراد عملها بكفاءة فإن المهمة الرئيسية لهذه المجموعة هي التأكد من أن أهدافها والوسائل اللازمة لتحقيق هذه الأهداف واضحة ومفهومة لجميع أفراد المجموعة وهذه هي مهمة التخطيط".

يتضح من كلام أهل اللُّغة أنَّ التخطيط :

[١] يعني رسم خطوط ؛

[٢] ويعني رسم حدودللأرض ورسم علامة تشير إلى حيازتها.

[٣] وله علاقة بالمقاصد ؛

[٤] ويعني الكتابة.

[٥] ويعني القصة أو الأمر .

ويتضح من كلام علماء الإدارة أن التخطيط :

[١] متعلق بتحديد وتوضيح الأهداف و الغايات والمقاصد ؛

[٢] ورسم حدود الزمان اللازم لتحقيق هذه المقاصد والأهداف ؛

[٣] ورسم الطريق المؤدي إلى هذه المقاصد والأهداف .

(١) د. محمد سعيد عبد الفتاح , إدارة الاعمال , المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر , الاسكندرية, ١٩٧١م، ص ٨٣ .

فكأنَّ الاثنين يلتقيان فيما يتعلق بالمقاصد والأهداف ؛ وفيما يتعلق برسم الحدود ؛ وفيما يتعلق برسم الطريق ؛ وفيما يتعلق بالكتابة .

ونستطيع أن نخلص إلى أنَّ التخطيط هو رسم الطريق الذي يقود إلى غاية في مقبل من الزمان بعد قراءة الظروف المحيطة بها واستكشاف العوائق التي تحفها واتخاذ التدابير الكفيلة بتذليل الصعاب.

مراحل التخطيط :

نستنتج من هذا التعريف أنَّ التخطيط يسير في خطوات تجمعها خمس مراحل:

[١] تحديد الأهداف ؛

[٢] تحديد الوسائل أو الطرق التي يمثل كل منها مساراً يقود إلى الهدف؛

[٣] دراسة هذه الطرق باعتبار كل واحد منها بديلاً يحقق الهدف أو يقود إلى تحقيقه؛

[٤] اختيار البديل الذي يبدو أنسب من غيره ؛

[٥] تنفيذ البديل المختار ومتابعته .

[٦] فكأن المخطط يحدد نقطة في المستقبل ويعزم على بلوغها , ويعمل في سبيل إمضاء عزمه على رسم مسارات تقود إلى هذه النقطة أو هذه الغاية ؛ ثم يحلل هذه المسارات ويزنها بميزان المنافع والأضرار ؛ ثم يختار واحداً من هذه المسارات تكون المنافع التي يحققها، ويكون الفرق بين المنافع والأضرار في أعظم مستوى. هذا المسار هو الخطة التي يراد تنفيذها, وبعد أن توضع موضع التنفيذ

يراقب أداؤها للتعرُّف على مواطن القوة لتثبيتها وتأكيدها , واكتشاف نقاط الضعف لمعالجتها والتغلب عليها؛ واستثمار نتائج هذه المتابعة في ما يستقبل من تخطيط .

أنواع التخطيط :

يمكن تصنيف التخطبط على أسس مختلفة حسب الهدف المراد تحقيقه من التصنيف . من الأسس التي يصنف وفقها التخطيط :

[١] وظائف المشروع ؛

[٢] فترة التخطيط ؛

[٣] النشاط التخطيطي.

[٤] المستوى الإداري ..... الخ .

[١] وظائف المشروع :

نقصد بوظائف المشروع المهام التي يحتاج المشروع أن يمارسها ليتمكن من السير نحو أهدافه وتشمل : التمويل , الانتاج , التسويق , إدارة الأفراد ,... الخ . وكل واحدة من هذه الوظائف تمثل إدارة أو قسماً تسند أعباؤه لمدير يصرفها ويكون مسؤولاً عن حسن سير الأداء فيه . ويقتضيه هذا أن يخطط أداءه؛ وبذلك نستطيع استخدام وظائف المشروع كأساس لتصنيف التخطيط, فيكون عندنا أصناف التخطيط التالية :

[١] تخطيط التمويل ؛

[٢] تخطيط الانتاج ؛

[٣] تخطيط التسويق ؛

[٤] تخطيط الأفراد ... الخ .

[٢] الفترة التي يغطيها التخطيط :

ورد عند تعريف التخطيط أنه " تطلع للمستقبل"[(١)] ويختلف طول الفترة التي يغطيها التخطيط . وقد شاع تقسيم فترات التخطيط إلى ثلاث فترات :

[أ] التخطيط طويل الأجل وهو مايزيد عن خمس سنوات .

[ب] التخطيط متوسط الأجل ويغطي فترة تزيد عن سنتين وتقل عن خمس سنوات ؛

[ج] التخطيط قصير الأجل ويغطي فترة تقل عن عامين .

[٣] النشاط التخطيطي :

يعتبر د . سمير أحمد عسكر النشاط التخطيطي واحداً من الأسس التي يمكن استخدامها لتصنيف التخطيط ويقسم النشاط التخطيطي إلى :

[١] الأهداف .

[٢] الاستراتيجيات.

[٣] السياسات .

[٤] البرامج .

[٥] الميزانيات.

[٦] الإجراءات .

[٧] القواعد[(٢)].

(١) د. سمير أحمد عسكر , المدخل إلى إدارة الاعمال , دار النهضة العربية , القاهرة , ١٩٨٣ – ص ٨٣ .

(٢) د. محمد سعيد عبد الفتاح , مرجع سبق ذكره , ص ٨٣.

فوائد التخطيط :ـ

يعدَّد د . سمير أحمد عسكر فوائد كثيرة للتخطيط نذكر منها :

[١] يركز التخطيط على الأهداف التي توجه السلوك والقرارات؛

[٢] يوضح الوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف المرجوة ؛

[٣] يعين المدير على استخدام التحليل والمنطق والرشد[١]؛

[٤] يمكن المخطط من التشخيص المبكر للمشاكل والأستعداد لمواجهتها وحلها ؛

[٥] يعين المنشأة على أن تحصل على أفضل الموارد ؛

[٦] يعين المنشأة على قراءة المستقبل والتعرُّف على مواطن الخير واستثمارها ومكامن الشر واجتنابها ومعرفة التحديات والاستعداد لها؛

[٧] يقلل التخطيط من عدم التأكد والمخاطرة ؛

[٨] يساعد المنشأة على خفض التكلفة بتوفير الوقت والجهد وتجنب الأخطاء ؛

[٩] يساعد على التنسيق والرقابة وتجنب التركيز على أهداف فرعية على حساب أخرى[٢].

[١٠] يعزز المناخ السلوكي لأنه يركز على التصميم الدقيق والشرح الوافي للواجبات والسلطة , والمسئولية , والتنظيم ، ونظام الحوافز , والعلاقات المتبادلة بين الأفراد[١].

---

(١) د. سمير عسكر مرجع سبق ذكره ؛ ٨٨ .

(٢) المرجع نفسه, ص١٠١.

بعض آيات من القرآن تشير إلى التخطيط

لم يرد لفظ التخطيط صراحة في القرآن الكريم رغم أنَّ كل قصص الأنبياء تتضمن التخطيط, وقد سلف أن الغاية من خلق الخلائق هي عبادة الله القائل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبادة هي تحقيق مراد الله في تعمير الأرض قياماً بواجب الخلافة. ولذلك ربط الله الإيمان بالعمل في القرآن الكريم, "وحيثما ذكر الإيمان في القرآن أو ذكر المؤمنون ذكر العمل[٢], قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

فانظر كيف قصر صفة الإيمان على الذين يتبعون الإيمان بالله ورسوله بالجهاد بالنفس والمال . وهل يكون الجهاد بلا تخطيط ؟

قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ

(١) المرجع نفسه, ص ١٠٢.

(٢) المرجع نفسه, ص ١٠٣.

بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥] فقد اشترط للاستخلاف والتمكين أن يكون إيماناً ويكون عملاً واشترط أن يكون العمل صالحاً يعني موافقاً لما شرع الله ؛ وهل يكون العمل صالحاً بلا تخطيط ؟

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

في هذه الآية ربط السياق القرآني استجابة الله لهم بحركتهم وعملهم في سبيل الله وفق تخطيط يهيئ لهذا العمل أسباب النجاح .

وقد أمر الله بإعداد القوة فقال : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهو أمر يتضمن الأمر بالتخطيط لأن إعداد القوة نشاط هادف , ولأنه يحتاج لكثير من المعلومات بعضها متعلق بالحاضر وبعضها متعلق بالمستقبل "تنبؤ" ,ومن معلومات الحاضر مستوى قوة المسلمين ومستوى قوة العدو ؛ ومن معلومات المستقبل نشاط العدو ومحاولاته تحسين قوته والفرص المتاحة أمامه للنجاح ومثل ذلك فيما يتعلق بالمسلمين .

ومن الآيات المتضمنة الأمر بإعداد القوة , والمتضمنة ـ بالتالي ـ الأمر بالتخطيط قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٤-٦٦].

فالمسلمون مطالبون وفق هذا النص القرآني بحيازة معلومات عن موقفهم, ومقدار قوتهم مقارنة بموفق العدو, ومقدار قوته ثم إعداد خطتهم في ضوء هذه المعرفة وفي ضوء معايير النصر التي جعلها النص في خط ممتد طرفه أن يكون المسلمون في أوج قوتهم فيكون التناسب بينهم وبين عدوهم حينئذ واحداً إلى عشرة , وطرفه الآخر أن تضعف قوة المسلمين فيكون التناسب واحداً لاثنين؛ مع الأخذ في الحساب بقية المتغيرات مثل الصبر وصدق اللقاء و ... الخ . في ضوء هذه المعرفة وهذه المعايير يخطط المسلمون ويستقرئون الأحداث التي يطويها المستقبل , ثم يختارون البديل الذي يحقق الخير أو يقلل الشر إلى أدنى مستوياته .

وإذا طمع المسلمون في نصر الله وتمكينه فسبيلهم التخطيط الذي يضبط حركتهم بمرضاة الله ويجعل رضا الله معياراً لما يؤتى وسخطه معياراً لما يترك.

قال تعالى ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

ولم يرتب الله جزاءً على إيمان لايتبعه عمل صالح . وكيف يكون العمل صالحاً إذا لم يكن هادفاً , وهدفه موافقاً للغاية من خلق الخلائق, ووسائله مرضية لله؛ وهذه هي مراحل التحطيط؛ فالله لم يرتب جزاء على عمل غير مخطط قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم: ٩٦]، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠].

والتخطيط أخذ بالأسباب , وقد أمر الله بذلك , وذكر في سياق مدح الأخذ بالأسباب قصة ذي القرنين الذي مَنَّ الله عليه بالتمكين وهيأ له الأسباب . فهل قعد ذو القرنين مكتوفاً بعد التمكين وتذليل الأسباب ؟ أم تحرك فاستثمر الأسباب في صناعة التغيير وقيادته لتحقيق إرادة الله في تعمير الأرض والقيام بواجب الخلافة فيها ؟ لقد أخذ بالأسباب وصنع التغيير وقاد الإعمار . يقول تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ

وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ [الكهف: ٨٣-٩٨].

التخطيط في القصص القرآني:

لقد قص القرآن قصصاً تشير إلى التخطيط ؛ ومعروف أن من أهداف القصص القرآني التأسي بالمحامد التي يحكيها ومعرفة أنماط السلوك الحميد وتقليدها ؛ والتعرُّف على أنماط السلوك غير الحميد لتجنبها . والقرآن عندما يحكي عن نبي فإنه يريد أن ينهج الناس نهجه ويتأسوا بفعله. قال تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا

حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة: ٦]، وقال تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقصص الأنبياء كلها تتضمن التخطيط، ولكننا نكتفي منها بقصتين على سبيل التمثيل، هما:

[١] قصة نبي الله يوسف عليه السلام.

[٢] قصة نبي الله موسي عليه السلام

[١] قصة سيدنا يوسف عليه السلام:

يبدأ مقطع القصة التي نعتقد أنه يشير إلى التخطيط برؤيا الملك التي يستثمرها نبي الله يوسف عليه السلام كإشارة للمستقبل يتنبأ عن طريق تعبيرها بأحداث المستقبل ويرسم في ضوئها خطة تهدف إلى تجاوز سني الجفاف التي توقعها وذلك باتخاذ عدد من التدابير مثل :

[١] ابتداع خطة للتخزين يستخدم فيها أسلوباً يحفظ الحبوب من التلف ويحميها من الآفات .

[٢] رسم خطة للتوزيع تضمن الوفاء بالحد الأدني من الاحتياجات خلال فترة الجدب.

[٣] رسم خطة لإعادة الاستثمار عندما تتوفر الظروف المعينة على النجاح.

نلاحظ :

أولاً : أن عمر الخطة ١٥ عاماً مما يعني أنها خطة طويلة الأجل.

ثانياً : أنها مقسمة إلى ثلاث خطط فرعية :

[أ] تركز أولاها على استثمار الظروف المعينة عل الإنتاج والعمل على تحصيل أكبر عائد منها ؛ ثم الاقتصاد في النفقات لإحراز فائض يكفي احتياجات الأمة في فترة الجفاف ؛ وتخزين هذا الفائض بطريقة تصونه من التلف وتحفظه من الآفات .

[ب] وتركز الثانية على توزيع فائض الإنتاج المستفاد خلال الفترة الأولى "فترة الإنتاج" بطريقة تقابل الحد الأدنى من الجدب.

[ج] وتركز الثالثة على إعادة الاستثمار فى السنة الأخيرة من سني الخطة لتعود للأمة حالة الرفاهية والسعة .

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

[٢] قصة نبي الله موسى عليه السلام :

يبدأ الجزء الذى نعتقد أنه يشير إلى التخطيط فى قصة نبي الله موسى عليه السلام بطلب نبي الله شعيب مقابلته بعد أن سمع عنه من بنته . وكانت الأسرة الكريمة قد أحست بالمشكلة وحددت هدفها : فالأب شيخ كبير لايقوى على تدبير أمر معاشه , وليس له ولد يقوم مقامه , مما دفع البنتين الى سد هذه الثغرة فكانتا تخرجان لرعي أغنام الأسرة ؛ وكان ذلك يعرضهما للاختلاط بالرعاة عند ورود الماء لسقي الأغنام , وحتى تجتنبا هذا الاختلاط كانتا تتأخران حتى يصدر الرعاة وكان معنى هذا أن تعودا للبيت فى وقت متأخر . ويبدو أن الأسرة كانت تبحث عن حل لهذه المشكلة فلما قيض الله لها هذا الشاب اتضحت أمامها الخطة.

كانت بعض المعلومات قد توفرت عن هذا الشاب :

[١] إنه شهم ذو نجدة وغيرة : لأنه أنكر وجود المرأتين بين الرجال , ولم يقف مكتوفاً متفرجاً بل تقدم ليستفسر عن سبب وجودهما بين الرجال ثم شرع يعينهما على إنهاء هذا الوضع الذي لم يرضه.

[٢] وهو قوي : لأنه حرك صخرة كانت توضع على فوهة البئر يحتاج تحريكها لقوة عدد من الرجال الأقوياء ؛ ولأنه سحب دلواً يحتاج سحبه للقوة ففرض نفسه واحترامه على الرعاة الذين يحترمون القوي؛ ولذلك ماكانوا يسمحون للبنتين أن تسقيا قبلهم فنال احترامهم وحقق بغيته فسقى للبنتين فانصرفتا مبكرتين على غير العادة[١].

[٣] وهو أمين لانه عندما تبع الفتاة رأي أنه لايجوز له النظر إليها فطلب إليها أن تسير خلفه وتدله على الطريق .

كانت عودة الفتاتين مبكرتين ـ على غير العادة ـ سبباً جعل الأب يسأل عن الأمر . فأخبرتاه خبر الشاب فطلب من إحداهما استدعاءه ؛ وكان الشاب ـ في غربته ـ في أمس الحاجة لسانحة من خير كما قال تعالى : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص:٢٤]، وكانت الأسرة قد أعدت خطتها لاستثمار هذه السانحة وحددت تفاصيلها.

ولكن عقِبةً كانت تعترض الخطة : فالشاب غريب عند الأسرة ولا يحل له الاختلاط بها , وتعترض تعامله معها كثير من القيود , وحل هذه العقبة عند الأب أن يتزوج إحدي البنتين ؛ ولكن عقبة أخرى تعترض هذا الحل : فالشاب معدم لايجد ما يقتات به فمن أين له تكاليف الزواج ؟ والحل أيضاً عند الأب:

(١) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ نشر ، ص ١٨٥.

فالعمل مورد اقتصادي غال والأسرة في حاجة لهذا المورد , والشاب مستوف لكل الموصفات المطلوبة فليكن عمل الشاب مقابلاً لتكاليف الزواج ؛ وهكذا اتضح الطريق واكتملت الخطة وأجيب عن التساؤلات التي تعترضها وبقي أن تعرض الخطة على الشاب ليوافق عليها ويبرم العقد . حددت مدة الخطة بين ثمان إلى عشر سنوات , مما يعني أنها خطة طويلة الأجل ؛ وعرضت على الشاب فوافق عليها وأختار أطول الأجلين[1].

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ

(١) محمد بن جرير الطبري , تفسير الطبري , دار الفكر , بيروت , لبنان , ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م , المجلد الثامن " الجزء العشرون " ص ٣٧ . وانظر أيضاً: عبد الوهاب النجار , قصص الأنبياء , دار الفكر , بدون تاريخ , ص ١٦٦ .

ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القصص: ٢٣-٢٨].

المفاهيم النظرية للتوكُّل

معنى التوكُّل :

الجذر اللُّغوي لهذه الكلمة هو الفعل الثلاثي (و ك ل) قال ابن منظور: "وكل" في أسماء الله تعالى : الوكيل هو المقيم الكفيل بأرزاق العباد وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه ... والمتوكل على الله : الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره ... وكل بالله وتوكل عليه: استسلم إليه ... يقال : توكل بالأمر إذا ضمن القيام به ... ووكلت أمري إلى فلان : أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه ... ووكل فلانٌ فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه[1].

وقال في "المنجد": " الوكل" العاجز الذي يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه[2] وقد تزداد هذه الكلمة بتضعيف لامها " الكاف " . قال في المنجد وكَّل توكيلاً [وكَّل] فلاناً : جعله وكيلاً[3] وقد تزداد بالتاء في الأول وتضعيف

(١) محمد بن جرير الطبري , مرجع سبق ذكره , ص ٣٩.

(٢) ابن منظور مرجع سبق ذكره , ص ٧٤٤.

(٣) المنجد الأبجدي , دار الشروق , بيروت , لبنان , الطبعة الخامسة ١٩٦٧, ص ١١٦٤.

الكاف. "تَوكَّل" قال في المنجد : " توكَّل توكُّلاً , توكل له بالنجاح : ضمنه وتكفَّل به ... وتوكَّل على الله : استسلم إليه . وتوكل في الأمر : أي أظهر العجز واعتمد على الغير"(١).

وقال في "مختار الصحاح": (و ك ل) الوكيل معروف ؛ يقال وكله بإمر كذا (توكلاً) والاسم (الوكالة) بفتح الواو وكسرها (التوكُّل) إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم (التكلان)، واتكل على فلان في أمره إذا اعتمده و(وكله) إلى نفسه من باب وعد (وكولاً) أيضاً وهذا الأمر موكول إلى رأيك و(واكله مواكلة) إذا اتكل كل واحد منهما على صاحبه(٢).

والتوكُّل إظهار العجز والاعتماد على غيرك، والاسم التكلان واتكلت على فلان في أمري إذا اعتمدت عليه(٣).

وقال الفخر الرازي :" التوكُّل " تفعُّل من وكل أمره إلى فلان إذا اعتمد على كفايته ولم يتولَّ بنفسه قال ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ثم قال " في الآية إشارة إلى أنه ينبغي أن يدفع الإنسان ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكُّل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك التوكُّل(٤).

(١) المرجع نفسه, ص ١١٦٤.

(٢) المرجع نفسه, ص ٣٠١.

(٣) محمد بن بكر بن عبد القادر الرازي, مرجع سبق ذكره , ص ٧٣٤.

(٤) ابن منظور مرجع سبق ذكره , ص ٧٣٦.

فالتوكُّل ـ إذن ـ إظهار العجز . والاعتراف بالعجز يجعل العاجز يبحث عن معين يستسلم إليه ويعتمد عليه فيوكل أمره إليه ثقة بكفايته وقدرته على القيام بالأمر , فيتكل عليه ويجعله وكيلاً , فإذا صنع هذا فقد توكل عليه, واستسلم له , واعترف الانسان بعجزه وفقره إلى الله , وطلب منه سبحانه أن يعينه , ووكل إليه أمره واتكل عليه وتوكل , فذلك التوكُّل الممدوح ؛ لأن الله سمَّى نفسه الوكيل وهو المقيم الكفيل بأرزاق العباد والمستقل بأمرهم , القادر الرؤوف الرحيم , فلن يضيعهم . وقد قالت أمنا هاجر ـ عليها السلام ـ لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام عندما أسكنها بواد غير ذي زرع : " ... آلله أمرك بذلك؟ فلما أشار إليها أن نعم قالت : "إذن لايضيعنا".

ورد في النهاية لابن الأثير " يقال : توكل بالأمر إذا ضمن القيام به؛ ووكلت أمري إلى فلان : أي ألجأته إليه , واعتمدت فيه عليه , ووكل فلان فلاناً : إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه"[1].

يقول د . عبد الله الزبير : " ومن هنا كان المقصود الشرعي للتوكُّل هو أنه صدق اعتماد القلب على الله عز وجل وتفويض أمره إليه والثقة به في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة كلها"[2]، ويقول:

(١) تفسير الفخر الرازي المعروف بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب .دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت , لبنان , الجزء التاسع , ص ٦٩–٧٠.

(٢) ابن الأثير , النهاية في غريب الحديث , ج ٥ , ص ٢٢١.

"وقريب من هذا ما قيل في حقيقته : اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع مايضره في دينه ودنياه"[1].

التوكُّل في القرآن الكريم :

وقد وردت مادة التوكُّل في أكثر من ستين موضعاً في القرآن الكريم ؛ وورد الأمر بالتوكُّل في القرآن مراراً , من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، وقد تكررت هذة الصيغة كثيراُ في القرآن الكريم : فجاءت في الاية ١٢٢ من سورة آل عمران , والآية ١٦٠ منها والآية "١١ من سورة المائدة , والآية ٥١ من سورة التوبة , والآية ١١ من سورة إبراهيم, وآلآية ١٠ من سورة المجادلة , والآية ١٣ من سورة التغابن . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يوسف: ٦٧], والآية ١٢ من سورة إبراهيم ".

ومدح الله المتوكلين في مواضع كثيرة من كتابه العزيز , بل إن كل أو جل ما ورد عن التوكُّل كان في سياق المدح ؛ ولكنه صرح بأنه ﴿ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ في الآية ١٥٩ من سورة آل عمران , وأعلن أن من يتوكل عليه فإنه لايحتاج لمزيد حين قال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ في الآيتين ١٣٢, ١٧١ من سورة النساء , وقال تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ في الآية ٦٥ من سورة الإسراء , وقال تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ في الآية

(١) د. عبد الزبير, دروس في تزكية النفس , دار الأصيل , صنعاء , ط ١ , ١٩٩٧م , ص١٥٤.

"٦٣ من سورة الطلاق ؛ لأن الله قوي , عزيز , قادر ... يقدر على أن يقضي حاجة من يتوكل عليه ؛ حكيم يعرف مصلحة من يلوذ به ؛ قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ الآية ٥١ من سورة التوبة. وكما وصف الله نفسه بالعزة والقوة فليس يعجزه شيء ؛ ومن يتوكل عليه فإنه يستطيع أن يكفيه ؛ وصف نفسه بالرحمن الرحيم ، ومن رحمته أنه لايهمل من توكل عليه بل يكفيه ؛ ووصف نفسه بالحكمة والعلم , فهو يعرف مصلحة من يتوكل عليه ويضع له حوائجه في نصابها. وقد قرن عزته برحمته في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ الآية ٢١٧ من سورة الشعراء .

الاخذ بالأسباب ضرورة ، دون الركون إليها :

يتضح مما تقدم أن التخطيط هو تهيئة أسباب النجاح لكل نشاط يمارسه الشخص قبل الشروع في ممارسة هذا النشاط لأنك تنظر إلى المستقبل لتتنبأ وتتعرف على الأحداث التي ستقع مستفيداً في ذلك بتجارب الماضي ومستقرئاً السنن التي جعلها الله مقدمات للنتائج . فالتخطيط هو الأخذ بالأسباب التي يقول عنها أهل اللُّغة : " كل شيء يتوصل به إلى غيره ... كل شيء يتوكل به إلى شيء آخر"[1] فالأسباب هي السنن التي جعلها الله مقدمات للنتائج , وأمر العباد أن يتخذوها ليبلغوا أهدافهم ؛ فالعمل من أسباب الكسب , ومجالسة العلماء من أسباب العلم , والاجتهاد من أسباب النجاح, والتداوي من أسباب

(١) ابن رجب الحنبلي جامع العلوم والحكم , دار المعرفة , بيروت , لبنان , ط ١ , ١٩٨٨م , ص ٤٣٦ حديث رقم ٤٩ .

الشفاء . وقد أمر الله عباده أن يتخذوا الأسباب عبادة له وحده، واحتفظ لنفسه جل جلاله بتعريف الأسباب وترتيب النتائج ؛ وتكفل لكل مخلوق برزقه مادام حياً ؛ فالمخلوق مطالب بالعمل وفق هذه السنن ؛ فإذا كان مزارعاً يكون مطالباً بحرث الأرض , وبذر الحب , وتعاهده بالري , ورعايته من الآفات ؛ يصنع كل ذلك لأن الله أمره به لأنه يعبد الله بعمله هذا ؛ أما نتيجة هذا المجهود فعند الله تعالى لأنه طالبه بالحرث فقط ولم يطالبه بالزرع: قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الواقعة الآيات: ٦٣ـ٦٧] "إنَّ مهمة العبد تنتهي عند الأخذ بالأسباب وعدم التقصير فيها مع إخلاص النية لله تعالى . والأخذ بالأسباب يقتضي أن يتحرى العبد مظان النجاح وأن يعرف الأسباب التي تثمر النتائج التي يرجوها " يخطط " فيتحرى موسم نجاح المحصول الذي يريد أن يزرعه , ويبحث عن التربة التي تلائم المحصول , يتاكد من مصدر الماء , ... الخ ويقتضيه ذلك أن يعرف موسم المطر فيعد أرضه للزراعة قبل وقت يمكنه من استثمار الموسم ؛ وأن يعرف موسم فيضان النيل فيستعد لاستثمار مياهه وتجنب الأضرار التي يسوقها ؛ فهو إذن يتنبأ المطر سينزل والنهر سيفيض ؛ وأن ماء المطر أو فيضان النهر سيروي منطقة معينة أو مساحة معينة ؛ وأنه سيستمر فترة معينة , كل هذه أحداث يطويها الغيب ولكنها متوقعة وفق قرائن معينة وسنن: ولكنها مربوطة بمشيئة الله : فالمطر سينزل إن شاء الله والنهر سيفيض إن شاء الله .

هذا التنبؤ وهذا التوقع للأحداث التي يطويها الغيب هي واحدة من أسباب النجاح على المرء أن يستثمرها , وهي مرحلة من مراحل التخطيط؛ ولكن عليه أن يعلم أنَّ جهوده ومحاولته استثمارها إنما هو العبادة وأن النتائج بيد الله ؛ فقد يتخلف المطر؛ وقد لايفيض النهر ؛ وقد تكون كمية الماء في أي منهما دون المطلوب فيعطش الزرع , وقد يموت ,وقد تكون أكثر من المطلوب فيغرق الزرع , وقد يموت ؛ وإن سلم من هذه وتلك فقد تصيبه آفة , ... وقد ... وقد ... الخ . فالفرد مطالب بالسعي واتخاذ الأسباب وهذه هي العبادة التي كلفه بها الله ؛ وهذا هو التخطيط الذي نعنيه ؛ أما النتائج فبيد مسبب الأسباب رب السموات والأرض ؛ والتسليم بذلك هو التوكُّل ؛ وفي كلام العرب : " على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح " ؛ فالتوكُّل والتخطيط قرينان؛ والتخطيط الذي هو الأخذ بالأسباب ضرورة من ضرورات النجاح ولكن لاينبغي الركون لهذه الأسباب .

التخطيط يسبق التوكُّل :ـ

فالعبد مأمور بالعبادة أخذاً على نفسه بها , وأمراً لغيره بها , صبراً عليها وتحريضاً لغيره بالصبر عليها ؛ قال تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣٢]؛ قال ابن جرير الطبري رحمه الله : " واصطبر على القيام بها وأدائها بحدودها أنت , لانسالك رزقاً , يقول : لانكلفك مالاً بل نكلفك عملاً ببدنك نؤتيك عليه أجراً عظيماً

وثواباً جزيلاً . نحن نرزقك؛ يقول: نحن نعطيك المال ونكسبك ولا نسألكه"[1] وقال ابن كثير رحمه الله : "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" أي استنقذهم من عذاب الله بإقامة الصلاة واصبر أنت على فعلها ؛ ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾ يعني إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، قال : تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٦ـ٥٨][2] والصلاة رمز للعمل الصالح ولفرائض الله التي أمر بالمحافظة عليها, وهي محطة الوقود التي يتزود منها العبد الطاقة التي يستعين بها على التزام حدود الله والبعد عن محارمه ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فإذا أقام الصلاة التزم بالمعروف وانتهى عن الفحشاء والمنكر ؛ فكان سعيه لطلب رزقه تعميراً للأرض وعبادة لله والتزاماً بأبواب الحلال , واجتناباً لأبواب الحرام والشبهات؛ ولذلك ينبغي أن تكون الصلاة هي المحور والذي يدور حوله البرنامج اليومي للمسلم بحيث يكون وقت أدائها مفرغاً من كل عمل خلافها، ومخصصاً كلياً لها؛ ويكون كل عمل غيرها إما قبلها وإما بعدها .

(١) ابن منظور , مرجع سبق ذكره , المجلد الأول , ص ٤٥٨.

(٢) محمد بن جرير الطبري , مرجع سبق ذكره , المجلد السابع , الجزء السادس عشر , ص ١٧٠.

فالعبد ـ إذن ـ مأمور أن يشغل نفسه بطاعة الله ؛ لأنه التكليف الذي من أجله خلق ؛ ولا يشغل نفسه بالرزق لأنه مضمون ؛ ومن طاعة الله الأخذ بالأسباب ؛ والتحطيط له , وتحري أسباب النجاح ؛ فإذا استوفى الأسباب , ولم يقصِّر فيها فقد أدى الذي عليه فليضمن رزقه لأنه وعد من لا يخلف الميعاد.

ومن حكمة الله أنه غيَّب المستقبل وجعل الرزق فى طياته ؛ وسبَّب الأسباب وجعل تصريفها فى يده ؛ ثم أمر العباد أن يلتزموا طريقاً مشروعاً فى طلب رزقهم ؛ وتعبدهم بذلك ؛ ولكنه أخفى مقدار الرزق وأوصافه وميقاته ليعلم من يلتزم الطاعة فى طلب الرزق ومن تحمله الشفقة وضعف اليقين على استبطاء الرزق وتنكب الطريق فيطلبه من باب يخالف طريق الطاعة. فالرزق آت لا محالة ، فى موعده الذى أراده الله ، وفى مكانه ، وبمواصفاته ، ولن يغير التزام الطاعة شيئاً فى ذلك ؛ ولكن العدول عن طريق الطاعة يحمل العبد أوزار المخالفة وذنوب المعاصى . وفى الحديث : " لقد نفث روح القدس فى روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فإنَّ ما عند الله لاينال بمعصيته"[1].

فطلب الرزق هو العبادة المأمور بها لأن العبادة ـ كما يقول ابن تيمية رحمه الله ـ اسم جامع لما يحبه الله ويأمره به؛ والاعتقاد الجازم بأنَّ الله هو الرازق توكُّل.

ونلاحظ أنَّ سياق الآية قدَّم الآمر بالصلاة ؛ قال تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ

(١) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير , تفسير القرآن العظيم , دار إحياء الكتب العربية, بدون تاريخ نشر, الجزء الثالث , ص ١٧١.

وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾؛ وثنى بضمان الرزق فقال : ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ وقد قدَّم الحق عز وجل الأمر بالعبادة على الآمر بالتوكُّل في كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى في الآية ١٢٣ من سورة هود : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾؛ وقدَّم الصبر على التوكُّل في مثل قوله تعالى في الآية ٤٢ من سورة النحل والآية ٥٩ من سورة العنكبوت: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وقدَّم الإيمان على التوكُّل في مثل قوله تعالى في الآية ٣٦ من سورة الشوري : ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾. وكل ذلك يوحي بأن العمل مقدم على التوكُّل , والعمل يتطلب التخطيط وتلمس أسباب النجاح والأخذ بها . فإذا خطط واجتهد ولم يقصر فليتوكل على الله معترفاً بعجزه عن بلوغ ما وراء الأسباب ؛ ومسلما لمن بيده مقاليد الأسباب .

هل استغني ناجح عن التخطيط؟

ننظر في هذه الفقرة إن كان واحد من الناجحين قد استغنى عن التخطيط حتى يكون ذلك ذريعة لذمه أو سبباً لتركه . وليس فوق نجاح الأنبياء نجاح, لأنهم بوحي من الله , ومعصومون بعصمته , وليس فوق توكلهم توكُّل وهم المأمورون أصالة بالتوكُّل , والتوكُّل حال النبيين جميعاً ينطلقون في دعوتهم إلى الله متوكلين عليه معتمدين في كل صغيرة وكبيرة عليه"[1] وإمامهم في ذلك

(١) د. عبد الله الزبير عبد الرحمن , مرجع سبق ذكره، ١٩٩٧م.

أبوهم إبراهيم عليه السلام الذي لجأ إلى الله في أشد محنة أبتلي بها فقال حينما أُلقي في النار " حسبنا الله ونعم الوكيل[1] وتبعه في ذلك نبي الله يوسف عليه السلام الذي قال حين أُلقي في الجب: "حسبي الله ونعم الوكيل"[2] وسبقهم أبو البشرية الثاني نوح عليه السلام الذي حكى القرآن عنه في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس: ٧١]" وقال هود عليه السلام لقومه ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦]" وقال شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود: ٨٨]. فالتوكُّل حال الأنبياء جميعاً كما حكي القرآن الكريم قولهم لقومهم : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

ورسولنا ﷺ خاتم النبيين أسوة فى التوكُّل على الله وكل حاله توكُّل . يقول د. عبد الله الزبير : تحت عنوان: (والتوكُّل حال نبينا عليه السلام): "فرسول الله ﷺ كان فى حياته كلها متوكلاً على الله فلا يسير سيراً، ولا يريد وجهاً، ولا يمشى شبراً،

(١) د. عبد الله الزبير عبد الرحمن , مرجع سبق ذكره, دار الأصيل , صنعاء الطبعة الأولي , ١٩٩٧م.

(٢) المرجع نفسه.

ولا يخرج خطوة إلاَّ ويعلن توكُّله على الله عزوجل[1]. فإذا خرج من بيته أعلن أن الله وكيله , فقال ﷺ: " بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلاَّ بالله"؛ و إذا عاد إليه في أي ساعة من ساعات الليل والنهار أعلن فقره إلى الله, وعجزه في حضرة الله وتوكله على الله وأوصى أمته بذلك فقال وأمر غيره أن يقول: "اللهم أسألك خير المولج وخير المخرج , بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا ".

وهذا هو حال النبيين صلوات الله وتسليماته عليهم في دوام التوكُّل على الله, ومع ذلك كانوا أكثر الناس حركة , وأدقهم تخطيطاً , وليس من الممكن إحصاء أفعال التخطيط في حياتهم لأن حياتهم كلها تخطيط ؛ نبي الله يوسف ونبي الله موسى عليهما السلام. ونضيف إليها تخطيط نبي الله إبراهيم عليه السلام في هجرته إلى مكة , وتخطيطه في دعوته وتخطيطه في دعوة قومه , وقصته مع أصنام قومه , وقصة هجرة المسلمين إلى الحبشة ثم إلى المدينة , وترتيبات هجرته ﷺ.

كل ذلك أمثلة على ممارسة أنجح خلق الله ـ الرسل ـ للتخطيط ونأمل أن تتاح لنا فرصة نستعرض فيها التخطيط في حياة الرسل صلوات الله عليهم وإنما نكتفي هنا بالتأكيد على أنَّ التخطيط كان ديدن رسل الله جميعاً بحيث خلت حياتهم تماماً من العشوائية والمصادفة واتسمت بالتخطيط .

فإذا كان رسل الله الذين هم صفوته من خلقه والذين تشهد جميع الشواهد على نجاحهم قد حرصوا على التخطيط وعلى اتخاذ الأسباب بحيث

(١) المرجع نفسه.

خلت حياتهم تماماً من المصادفة والعشوائية ؛ وإذا كان الأمر قد صدر إليهم من رب العزة باتخاذ الأسباب فمن دونهم أحوج للأسباب.

وإذا لم يستغن أنبياء الله عن التخطيط فليس يستغني عنه من دونهم والكل مأمور بأن يتأسى بهم.

هل يتناقض التوكُّل الممدوح من رب العزة مع التخطيط؟

إذا كان الله أمر رسله باتخاذ الأسباب وأمرهم بالتوكُّل عليه فأي ذريعة يتمسك بها من يترك التخطيط ويترك الأسباب ويقول إنه متوكل على الله ؟

وقد سلف أن التخطيط هو اتخاذ الأسباب , وهو تلمس مظان النجاح والعمل على استثمارها ؛ وقد رأينا أن الله تعالى قد أمر الناس بعبادته ورأينا أن عبادته تتحقق بواجب الخلافة، ويتحقق القيام بالخلافة بإعمال السنن التي أعلن الله أنها لا تتبدل ولا تتحول قال تعالى: ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقال تعالى : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح: ٢٣]، وقال تعالى ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣]، وانما أجرى الله السنن وسخرها لعباده ليستعينوا بها على عبادته وليبتلي صدقهم في توحيده, واستثمار السنن هو التخطيط .وكما أمر الله بعبادته وعبادته تشمل التخطيط, أمر أيضاً بالتوكُّل عليه ؛ بل قرن الأمر بالاثنين في سياق واحد في قوله تعالى ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ﴾ [هود: ٢٣]، فالأمران ـ إذن ـ محبوبان ومأمور بهما, وليس بينهما تناقض أو تعارض.

العلاقة بين التوكُّل المحمود وضرورة الأخذ بالاسباب :

تقدم أنَّ التخطيط هو النظر إلى المستقبل وإعداد العدة له، وأنه يسير في خطوات تبدأ بتحديد الأهداف , ثم تحديد الوسائل الموصلة للأهداف, ثم دراسة الوسائل, ثم اختيار الوسيلة المناسبة, ووضع التفاصيل الضرورية الموصلة للهدف وتنفيذها .

لا نستطيع أن نتصور نشاطاً لاهدف له: فالهدف أمر مسلم به , ولكن هدف المسلم مؤطر في دائرة العبودية لله تعالى , فينبغي أن يحدد هدفه ملتزماً إطار القيم المتمثل في التزام حدود الله وعدم تعديها .

وقد روى الحاكم في المستدرك أنَّ رسول الله ﷺ قال" إنَّ الله حدَّ حدوداً فلا تنتهكوها , وفرض فرائض فلا تضيعوها , وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها " قال تعالى في الآية ٢٢٩ " من سورة البقرة : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾، فالمسلم مطالب أن يلتزم إطار القيم الإسلامية ولا يتعداها، بل ولا يقربها لقول الحق عز وجل في الاية ١٨٧ من سورة البقرة : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.

فإذا التزم المسلم إطار القيم الإسلامية حدَّد هدفه وفق الالتزام وأخلص النية لله فقد عبد الله في ذلك , وبقي عليه أن يحدد الأسباب والوسائل التي تقود إلى هذا الهدف , ويتعين عليه هنا أن يقرأ المستقبل ويتصفح السنن ليعرف مكامن النجاح : فلو كان زارعاً عليه أن يعرف مواسم الأمطار وكميتها ومواسم

نجاح المحصول وأن يعرف قدراته وإمكاناته وموارده ويعرف الوسائل الممكنة الموصله إلى هدفه مستبعداً الوسائل التي تحيد عن إطار القيم الإسلامية؛ ويدرس في ضوء معلوماته عن المستقبل وإمكاناته وهدفه أنسب طريق يقوده إلى هدفه دون أن يخرج عن إطار القيم الإسلامية , فإذا تبين أنسب الطرق حدد معالمه ووضع تفاصيله وشرع في تنفيذه وتعاهده بالرقابة والمتابعة حتى نهايته, مصححاً ما قد يحدث من انحراف , ومعالجاً ما قد يعترضه من مشاكل وعقبات؛ ومعداً لكل حدث عدته ولكل تحدٍّ ما يساويه من أسلحة ووسائل ؛ إذا فعل هذا فقد أخذ بالأسباب : خطَّط ونفَّذ وراقب ؛ فلينتظر من مسبب الأسباب النتائج ؛ وليستقبل هذه النتائج بالرضا والتسليم وليحمد الله في كل الحالات.

وقد تقدم أن الرزق مضمون عند الله لا يتخلف ولا يتاخر ولا يتغير ؛ وقد خبأه الله في طيات الغيب ليعلم من يلتزم بطلبه بطاعة الله ومن يشك في وعد الله فيطلبه في غير طاعته . إن من يطلب الرزق بغير طاعة الله لا يغير من وعد الله شيئاً : لا يقدم ميقاته , ولا يغير أوصافه ولا يزيد مقداره : فالسارق لو صبر وطلب ماسرقه من وجه حلال لجاءه ؛ والمرابي لو التزم الحلال لجاءه رزقه؛ ولكن كلا منهما استبطأ رزقه أو رآه دون طموحه . ففارق الطريق ولم يغير من أمره غير أنه تعرض إلى سخط الله تعالى.

والذي يطلب رزقه بمعصية الله واحد من اثنين:

[١] شاك في وعد الله ضعيف اليقين بما وعده.

[٢] أو شاك في قدرة الله على الوفاء بما وعد. والمؤمن بريء من هذين لأنه يعلم يقيناً أن الله لا يخلف الميعاد وأنه فعال لما يريد , وأنه رؤوف رحيم يريد

الخير لعباده ؛ ولذلك يفوضه بعد أن يستكمل الأسباب ويتحلى بالإخلاص فالتلازم بين التخطيط والتوكُّل يلزم المؤمن أن يخطط ويأخذ بالأسباب ثم يفوض سبب الأسباب في النتائج . فالتخطيط إعمال السنن وأخذ بالأسباب والتوكُّل وتفويض في النتائج .

التخطيط والتوكُّل مأمور بهما :

يتضح مما سبق أنَّ الامرين كليهما مأمور بهما لأنَّ التخطيط إعمال السنن وأخذ بالقوة، والقوة ممدوحة في مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٣]، ومأمور بها في مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) ونهى الله سبحانه وتعالى عن القعود لغير عذر , وفضل الساعي على القاعد في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]، وأمر الله بالنظر إلى المستقبل والإعداد له , والمستقبل في عرف المؤمن ممتد يشمل الدنيا والآخرة, وعلى المؤمن أن ينظر عاقبة عمله فيحرص أن يكون خيراً , ولن يكون ذلك

بغير تخطيط وإعداد ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر: ١٨].

وقد حكى د . عبد الله حسن رزق قصة إبراهيم بن أدهم مع شقيق : (قال إبراهيم بن أدهم لشقيق : كيف بدأ أمرك الذي أبلغك هذا ؟ قال شقيق: مررت ببعض الفلوات فرأيت طائراً مكسور الجناحين في فلاة من الأرض فقلت: انظر كيف يرزق هذا , فقعدت بحذائه , فإذا بطائر أقبل في منقاره جرادة وضعها في منقار الطائر المكسور الجناحين؛ قلت في نفسي : إن الذي سخَّر هذا الطائر الصحيح لهذا الطائر المكسور الجناحين لقادر أن يرزقني حيث ما كنت, وتركت التكسُّب وانشغلت بالعبادة[1]. سئل عن من يعول العابد؟ فقالوا : فلان, فقال: فلان خير منه .

فليس التوكُّل تركاً للسعي , وليست العبادة محصورة في مجال من النشاط دون الآخر , ولكنها تشمل جميع حياة الإنسان لتنظمها وفق مراد الله تعالى.

من هنا نخلص إلى أن الأمرين مأمور بهما وأن كلاهما ممدوح.

النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج :

[١] التخطيط عبادة لله إن سلمت النوايا وصحت الوسائل.

(١) د. عبد الله حسن رزق , مرجع سبق ذكره , ص ٦٨ .

[٢] والتخطيط إعمال للسنن وأخذ بالأسباب والتوكُّل تفويض في النتائج فهما متلازمان.

[٣] التوكُّل مع التخطيط خير من التبطل والقعود لأن التخطيط أخذ بالقوة والقوي خير من الضعيف.

[٤] التخطيط والتوكُّل كلاهما مما أمر الله ورسوله به.

[٥] من وسطية الاسلام أنه لم يغال في تقديس الأسباب ولم يهملها .

ثانياً: التوصيات

كان من أسباب نهضة الأمة الإسلامية أنها أخذت بكل أسباب القوة وانطلقت تعمر الأرض ملتزمة بإطار القيم الإسلامية فكان من شأنها ما كان من رفعة ومن نشر للخير والفضيلة في ربوع الأرض . فلما أهملت أسباب القوة وقعدت عن الإعداد لها صارت إلى ما صارت إليه . وعليها إن أرادت العودة إلى مجدها أن تعود إلى طريقه لأنه لا يصلح آخرها إلاَّ بما صلح بها أولها .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.